



لم تستخدم روسيا حق النقض ضد القرار 2254، لأنها، بعد أربعة أعوام على «الفيتو» الأول، حصلت على النص الذي يريدها، خصوصاً عندما أصبحت معنية مباشرة بالأزمة وليس فقط ببيع الأسلحة إلى النظام السوري. وكانت بدأت عملياتها العسكرية قبل صدور القرار بإجماع مجلس الأمن، فارضة «فيتوات» في أكثر من اتجاه، تحديداً ضد المعارضة المسلحة، وفي طليعتها «الجيش السوري الحرّ»، ثم ضد تركيا ودورها متذبذبة بإسقاط الـ «سوخوي 24».

وبعد صدور القرار، ما لبثت أن باشرت عمليات الشطب من المعادلة: ضد «جيش الإسلام» باغتيال قائد، ضد «أحرار الشام»، ضد «جيش الفتح»، ضد المعارضة التي ابنت من مؤتمر الرياض، ضد وفد المعارضة إلى المفاوضات ما لم يضمّ ممثلين لما تسمى «معارضة موسكو».

وترغب روسيا عملياً في شطب شيء اسمه «بيان جنيف 1»، أو «عملية انتقالية» تطمح إلى تحديد « المصير بشار الأسد ». وبالتالي، فهي تتظاهر بانتظار «قائمة التنظيمات الإرهابية»، مع أنها تتبين تصنيف النظام لكلّ من يقاتله على أنه «إرهابي». أي أنها تسعى استطراداً إلى حل عسكري للصراع تطويعاً للمفاوضات المزمعة وللحل السياسي المرسوم لديها مسبقاً.

أبسط ما يمكن قوله أن القرار 2254 الذي وصف بأنه إنجاز دولي «تواافقي»، وأنه وضع «خربيطة طريق» إلى حلٍ سياسي للأزمة قوامه التفاوض بين المعارضة والنظام، أصبح غداً إقراره سلاحاً أضافته موسكو إلى ترسانتها العسكرية للمضي في إضعاف المعارضة والسعى إلى تصفيتها، فلا يحلّ الموعد المحدد للمفاوضات إلا وتكون عالم الصراع قد تغيرت ولا يعود هناك ما يمكن التفاوض عليه، أو يكون الضغط على المعارضة بلغ حدّ ابتزازها للقبول بتنازلات لا تستطيعها، وابتزاز الدول الداعمة لها، بحيث تطالب بمعاودة لقاءات فيينا للتداول حول «خربيطة طريق» معدّلة والذهاب مجدداً إلى مجلس

لا تفسير آخر للتصعيد العسكري وفقاً لسياسة الأرض المحروقة التي اختها الروس، متابعةً واستكمالاً لنهج نظام الأسد.

صحيح أن ليس هناك أي ترتيب لوقف إطلاق النار أو لهنـة، لكن المتداول عن «لقاءات فيينا» أن الدول المعنية لم تتفق على أي تصفية للمعارضة ما دام التفاوض هو الهدف والوسيلة، بل لعلـها قبلـت ولو بشيء من الغموض - كالعادة - تفاهماً ضمنـياً على تجميد الوضع الميداني والعمليات القتالية لتمكـين المعارضة المقاتـلة من تكييف نفسها مع واقع المفاوضـات.

هـنا يُطرح السؤـال، تـكراراً، عن حـقيقة النـسخـة الأـحدث من «تفاهـمات» الأمـيرـكيـين والـروسـ. ذاكـ أنـ الـهدـفـ، أيـ التـفاوضـ، يـتـآكلـ سـريـعاً بـ فعلـ ماـ هوـ حـاصلـ عـلـىـ الـأـرـضـ. وـعـلـىـ الـمـدىـ الـقـصـيرـ، يـصـعـبـ الحـفـاظـ عـلـىـ ضـوابـطـ لـطـرفـ عـلـىـ حـسابـ الـآخـرـ، وـلـاـ يـجـوزـ أـنـ تـكـونـ واـشـنـطـنـ أـمـضـتـ الـأـعـوـامـ الـأـخـيـرـةـ فـيـ اـسـتـدـرـاجـ بـطـيءـ لـ«أـصـدـقاءـ سـورـيـةـ» إـلـىـ الرـضـوخـ لـسـيـاسـةـ روـسـيـةـ، بـعـدـماـ عـبـرـتـ مـارـاًـ عـنـ ضـيقـهاـ مـنـهاـ وـتـمـنـتـ إـعلامـياًـ أـنـ «ـتـحـركـ»ـ أـوـ «ـتـغـيـرـ»ـ.

ولـعـلـ فـيـ تـسـرـيـباتـ واـشـنـطـنـ إـلـىـ «ـوـوـلـ سـتـرـيتـ جـورـنـالـ»ـ وـسـيمـورـ هـيرـشـ، ماـ يـكـشـفـ الـوجهـ الـآخـرـ الـأـكـثـرـ وـاقـعـيـةـ لـمـوقـفـ الـأـمـيرـكـيـ.

فـإـذـاـ كـانـ جـزـالـاتـ الـبـيـنـاغـونـ يـجـدـونـ أـنـفـسـهـمـ أـقـرـبـ إـلـىـ آرـاءـ نـظـائـهمـ الـرـوـسـ وـالـأـلـمـانـ وـالـإـسـرـائـيلـيـينـ، مـنـهـمـ إـلـىـ آرـاءـ رـئـيـسـهـمـ بـارـاكـ أـوـبـاماـ وـإـدارـتـهـ، تـكـونـ مـوـسـكـوـ أـكـثـرـ وـاقـعـيـةـ إـذـ تـتوـاطـأـ مـعـ «ـالـقـناـةـ الـخـلـفـيـةـ»ـ لـتـلـكـ الـإـدـارـةـ. لـكـنـ إـذـ كـانـ اـسـتـحـقـاقـ الـتـفـاوـضـ قـائـمـاًـ فـعـلـاًـ، إـنـ لـحـظـةـ الـمـكـاشـفـاتـ بـيـنـ أـمـيرـكـاـ وـحـلـفـائـهاـ قـدـ حـانـتـ، لـأـنـ الـنـظـامـ أـوـضـحـ أـنـ مـسـتـعـدـ لـلـذـهـابـ إـلـىـ مـفـاوـضـاتـ عـلـىـ «ـحـكـومـةـ وـحدـةـ وـطـنـيـةـ»ـ (يـتـبـنـاـهـ الـرـوـسـ وـالـإـيـرـانـيـوـنـ وـالـأـسـدـ، وـفـقـاـ لـبـيـانـيـ فـيـيـنـاـ وـعـبـارـاتـ غـمـوضـ غـيرـ بـنـاءـ فـيـ الـقـرـارـ 2254ـ)، وـلـيـسـ إـلـىـ مـفـاوـضـاتـ عـلـىـ «ـهـيـثـةـ حـكـمـ اـنـتـقـالـيـ بـصـلـاحـيـاتـ كـامـلـةـ»ـ (يـفـتـرـضـ أـنـ أـمـيرـكـاـ وـحـلـفـائـهاـ وـالـمـعـارـضـةـ يـؤـيـدـونـهاـ وـفـقـاـ لـبـيـانـ «ـجـنـيـفـ1ـ»ـ وـالـقـرـارـيـنـ 2118ـ وـ2254ـ).

لـاـ شـكـ فـيـ أـنـ الـخـلـافـ الـبـيـنـ عـلـىـ مـنـطـلـقـ الـمـفـاوـضـاتـ وـجـوهـرـهاـ، وـعـلـىـ تـرـكـيـبـةـ وـفـدـ الـمـعـارـضـةـ، وـعـلـىـ تـصـنـيـفـ الـجـمـاعـاتـ الـمـقـاتـلـةـ، وـعـلـىـ التـنـاقـضـ بـيـنـ «ـجـنـيـفـ»ـ وـ«ـفـيـيـنـاـ»ـ، يـفـيدـ بـأـحـدـ أـمـرـيـنـ:ـ إـمـاـ أـنـ تـفـاهـمـاتـ كـيـريـ -ـ لـافـرـوفـ تـجـاـزـ الـقـرـارـ الـدـولـيـ،ـ وـإـمـاـ أـنـ تـوـافـقـاتـ فـيـيـنـاـ بـنـيـتـ أـسـاسـاـ عـلـىـ تـكـاذـبـ فـرـضـهـ مـيـزـانـ الـقـوىـ الـذـيـ حـسـمـهـ الـوـجـودـ الـرـوـسـيـ لـمـصـلـحةـ الـنـظـامـ.

فيـ الـحـالـيـنـ، هـنـاكـ تـلـغـيمـ دـوليـ لـمـفـاوـضـاتـ قـبـلـ اـنـطـلـاقـهـاـ، وـمـنـ حـقـ الـمـعـارـضـةـ أـنـ تـعـتـقـدـ أـنـ أـمـيرـكـاـ تـخـدـعـهـاـ أـوـ بـالـأـحـرـ تـواـصـلـ خـدـاعـهـاـ،ـ وـبـالـتـالـيـ ثـمـةـ حـاجـةـ إـلـىـ جـلـاءـ حـقـيـقـةـ التـوـافـقـاتـ الـدـولـيـةـ.ـ فـالـمـفـاوـضـاتـ لـنـ تـحـصـلـ فـيـ ظـلـ اـسـتـمـارـ تصـعيدـ عـسـكـريـ اـسـتـئـصـالـيـ الـأـهـدـافـ،ـ لـأـنـ الـمـعـارـضـةـ الـمـقـاتـلـةـ سـتـسـحبـ عـنـدـئـ مـوـافـقـتهاـ عـلـىـ الـحلـ السـيـاسـيـ لـتـفـرـغـ لـمـحـارـبـةـ «ـالـاحتـلالـ الـرـوـسـيـ»ـ،ـ كـمـاـ أـنـ الـمـعـارـضـةـ السـيـاسـيـةـ لـنـ تـمـكـنـ مـنـ الـذـهـابـ إـلـىـ مـفـاوـضـاتـ فـيـمـاـ يـتـعـمـدـ الـرـوـسـ قـتـلـ الـمـدـنـيـيـنـ وـتـدـمـيرـ بـيـوـتـهـمـ،ـ وـقـدـ تـسـبـبـواـ حـتـىـ الـآنـ بـتـهـجـيرـ ماـ يـقـارـبـ نـصـفـ مـلـيـونـ سـوـرـيـ.

لـاـ يـجـهـلـ الـأـمـيرـكـيـوـنـ وـالـرـوـسـ أـنـ الـظـرـوفـ لـمـ تـنـضـجـ لـلـتـفـاوـضـ،ـ مـاـ يـرجـحـ تـفـاهـمـهـمـاـ غـيرـ الـمـعـلـنـ عـلـىـ فـرـضـهـ بـقـوـةـ الـأـمـرـ الـوـاقـعـ:ـ الـضـغـطـ عـلـىـ الـدـوـلـ الدـاعـمـةـ كـيـ تـقـطـعـ مـسـاعـدـاتـهـاـ لـمـعـارـضـةـ الـمـقـاتـلـةـ،ـ وـتـرـكـهاـ فـرـيـسـةـ لـضـربـاتـ الدـبـ الـرـوـسـيـ.ـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـ،ـ لـنـ تـكـونـ مـفـاوـضـاتـ بـيـنـ الـنـظـامـ وـالـمـعـارـضـةـ الـحـقـيـقـيـةـ (ـالـمـعـتـرـفـ بـهـاـ -ـ بـغـمـوضـ أـيـضاـ -ـ فـيـ الـقـرـارـ 2254ـ)ـ بـشـقـيـهاـ السـيـاسـيـ وـالـعـسـكـريـ،ـ بـلـ إـنـ الـتـصـعيدـ الـعـسـكـريـ سـيـبـدـوـ مـجـرـدـ تـغـطـيـةـ لـمـفـاوـضـاتـ تـلـفـيـقـيـةـ بـيـنـ الـنـظـامـ وـ«ـالـمـعـارـضـةـ الـموـالـيـةـ لـهـ»ـ وـفـقـ تـولـيـفاتـ سـتـيـفـانـ دـيـ مـيـسـتـورـاـ.ـ وـهـذـهـ لـنـ تـأـتـيـ بـأـيـ حلـ سـيـاسـيـ مـرـشـحـ إـلـهـاءـ الـصـرـاعـ،ـ بـلـ سـتـفـحـ الـأـبـوـابـ لـتـبـرـيرـ حـربـ «ـجـهـادـيـةـ»ـ أـخـرىـ عـلـىـ النـمـطـ الـأـفـغـانـيـ،ـ حـيـنـ كـانـتـ مـوـجـهـةـ لـطـردـ الـمـحـتـلـيـنـ السـوـفـيـاتـ،ـ وـتـدـلـ أـشـرـطـةـ يـوـتـيـوبـيـةـ كـثـيـرـةـ عـلـىـ أـنـ

مقاتلي المعارضة دخلوا منذ فترة هذا المزاج المعادي لروسيا، وتدفعهم شدة الضربات إلى التجزّر فيه.

كيف تبخرت الأفكار الروسية عن إعادة تأهيل الجيش ليكون سورياً وليس أسدياً، ولماذا تخلّت موسكو عن خيار اجتذاب «الجيش الحرّ»، وهل أن حاجتها إلى النظام ودعمها له ينطويان على اعتناق لخياراته، ومنها إجهاض البحث عن حل سياسي لمصلحة السعي إلى حل عسكري، وهل بلغ إعجاب الروس بالسيناريو الإيراني في العراق حدّ تكراره في سوريا باستدعاء الإرهاب استدعاءً تحت مظلة مفاوضات زائفة، وهل أن «تفاهمات» أميركا وروسيا تسمح لطرفيها بالتعايش على رغم خلافاتهما فحسب، ولا تتيح لهما إدارة حل منصف لسوريا وشعبها، وماذا عن «الحرب على داعش» إذ يتعدّر تزامنها مع انطلاق حل من دون الأسد؟..

أسئلة مشروعة في ظل اهتزاز الثقة بمصداقية كل «عملية فيينا» والقرار 2254 الذي أنتجها.

الواضح أن عناصر «الصفقة» الدولية في شأن سوريا لم تتضح معالمها بعد، لكن تكفي مراقبة حركة الاتصالات بين دول لقاءات فيينا للقول إن المساوات بدأت، خصوصاً في ما يتعلق بالمجموعات «الإرهابية» التي سيتم إقصاؤها عن أي «عملية سياسية، ما يعني أيضاً إضعاف تأثير الدول المشتبه بها بتمويلها. وقد يكون أحد عناصر «الصفقة» ما يُلمس من تراجع ظاهري للدور الإيراني. إذ إن ثبيت نفوذ إيران وتمكنها من صيانة أوراقها للمساومة، لن يستقىما مع استبعاد تركيا من المعادلة وعدمأخذ المصالح العربية في الاعتبار، بل ينذران بصراعات إقليمية دائمة بين المستفيدين والمتضررين، ما قد يتطلب وجوداً روسيّاً دائماً تفرضه التطورات والضرورات حتى لو لم تكن موسكو راغبة فيه. لكن هذا الوجود الروسي نفسه آخذ بالتحول أكثر محوراً للتأزيم منه حافزاً على التهدئة.

الحياة اللندنية

المصادر: